

العقلنة البيروقراطية في فكر ماكس فيبر

Rational Bureaucracy in the Thought of Max Weber

قويدري ثامر¹، بكاي المبلود²

1- جامعة زيان عاشور الجلفة

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

thameurk11@gmail.com

2- جامعة زيان عاشور الجلفة

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

bekaimiloud74@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/03/14 تاريخ القبول: 2021/10/23 تاريخ النشر: 2022/06/09

ملخص:

يعد مفهوم العقلنة من المفاهيم المحورية في الفكر الاجتماعي لما حظى به من إهتمام و بحث خاصة أنه اقترن بالمجتمع الحداثي و ارتبط بعدة مجالات علمية على غرار الاقتصاد السياسة و علم الاجتماع. و لأن ماكس فيبر يعد أكثر المفكرين مساهمة في تحديد هذا المفهوم و ضبط له، حاولنا أن نتطرق لقراءة سوسيولوجية للمفهوم وفق المنظور الفيبري من زوايا عدة كالمنطلقات التي استقى منها المفهوم و حدوده و أبعاده الجوهرية و علاقتها بالنظرية البيروقراطية. الكلمات المفتاحية: العقلانية، العقلنة، البيروقراطية، الفاعلية، الحداثة.

Abstract :

The concept of rationalization is considered one of the pivotal concepts in social thought due to the interest and research it received, especially as it has been combined with modernist thought and has been combined with several scientific fields such as economics, politics and sociology. And because Max Weber is considered the most contributing thinker in defining this concept and precise it, we tried to get into a sociological reading of the concept according to the Weberian perspective from several angles, such as the starting points from which the concept was drawn, its limitations, its essential dimensions, and its relationship to the bureaucratic theory .

Key words:

Rationality, Rationalization, Bureaucracy Effectiveness, Modernity.

1. مقدمة:

تكاد تجمع المؤلفات الحديث على مركزية مفهوم العقلنة في الفكر الحديث حيث يصعب بمكان تجاوز هذا المفهوم أو تجاهله إعتباراً من كون الحداثة هي حالة ولادة جديدة لعالم يحكمه العقل وتسوده العقلانية أو بعبارة أخرى فالحداثة وضعية إجتماعية وحضارية تجعل العقلانية المبدأ الأساسي الذي يعتمد في مجال الحياة الشخصية و الإجتماعية و ذلك على حد تعبير ألبارو "إننا نكون بصدد العقلنة عندما يطلق العقل على الطبيعة مولدا للعلم والتكنولوجيا أو على الحياة الإجتماعية المرتبطة بالوجود الإنساني مولدا القانون و الأخلاق و الإقتصاد، فالوجود الإنساني قائم على مبدأ العقل(Martin A,1990,p134).

فالعقلنة كظاهرة إجتماعية غزت جوانب المجتمع الحديث من خلال المشروع الرأسمالي الغربي وما صاحبه من محددات بيروقراطية هيمنة على مختلف التنظيمات لما اكتسبته من مشروعية و قبول تجسدت أكثر عبر مخرجاتها في الفاعلية الادارية و عليه:

- ما هي المنطلقات التي حددت من خلالها ماكس فيبر مفهوم العقلنة؟ و كيف إكتسب هذا المفهوم مشروعيته في الفكر الحديث؟.

1.1 أهداف الدراسة:

- محاولة ضبط مفهوم العقلنة في إطارها الاجتماعي التنظيمي حسب التصور الفيبري.
- تتبع المصادر الأصلية التي إستقى منها فيبر طروحاته حول هذا المفهوم و كيف إستطاع من خلالها بناء نظريته البيروقراطية في شكلها العقلائي.
- تبين العلاقة الوطيدة بين هذا المفهوم و المشروع الحدائي الغربي الذي جسد هذا المفهوم واقعا حيث أمكن له استعمال العقلنة كأداة لتحقيق فاعليته في مختلف المنظمات.

2.1 أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذا المفهوم في محوريته في الفكر الفيبري من جهة و الفكر الحدائي فكل المشارب الفلسفية و الاجتماعية إنطلقت من العقلنة البيروقراطية لفيبر وصولا إلى العقلنة التكنولوجية لهربرت ماركيز، حيث تركز في تحليلاتها على فعل العقل كأداة مضفية للشكل الفاعل على المستوى الفردي و الجماعي خاصة و أن العقلنة تعد بوابة للفاعلية من خلال ما تحمله من دلالات أداتية مضفية الى الفاعلية على المستوى الاجتماعي و الاقتصادي و حتى السياسي.

2. مفهوم العقلنة الاجتماعية

تمهيد:

إن الخوض لتحديد مفهوم العقلانية صعب الضبط، لأن هذا المفهوم مرتبط بنواحي فكرية متعددة فقد يرتبط هذا المفهوم بالفكر والسلوك والمنطق والفعل حيث يمكن توظيف هذا المفهوم على أكثر من اتجاه فكري أي على الصعيد الفلسفي و الاجتماعي و الإقتصادي والسياسي كل من وجهة نظره بحسب التخصص العلمي و ما يتصل به من محددات، لذلك نحاول عرض لهذا المفهوم من الزاوية اللغوية و الاجتماعية.

1.2 المفهوم اللغوي:

العقلانية مصطلح مشتق من العقل و العقل في اللغة هو الحجر و النهي و قد سمي بذلك تشبيها بعقل الناقة لأنه يمنح صاحبه من العدول عن سواء السبيل، كما يمنح العقال الناقة من الشroud (جميل صليبا، 1979، ص74).

كما يذكر المختصون من أهل اللغة و التفسير أن مصطلح العقل لم يذكر في القرآن الكريم إلا بصيغة الفعل نحو يعقلون، تعقلون كما لم ينحصر في لفظ العقل، بل جاء في مرادفات له مثل

اللب و الحجر، الفؤاد و النهي، الحلم، كما ورد في كتاب الله تعالى أعمال العقل مثل العلم و التدبر، التفكير والفقه، النظر.

كما جاء أيضا مصطلح العقلانية عند الغربيين مشتق من كلمة عقل و من بين ما يعنيه صفة التميز بين الأشياء، و معرفتها معرفة واضحة و "الجزر الإشتقاقي الذي اشتقت منه كلتا الكلمتين هو الاسم اللاتيني Ratio و معناها العقل Reason و هكذا يفهم من كلمة العقلاني Rationaliste عموما الشخص الذي يؤكد قدرات الإنسان العقلية تأكيدا خالصا" (صالح حميدات، 2013، ص10)، كذلك نجد عقلانية ماكس فيبر قريبة من مفهوم العقلنة Rationalisé أي جعل الأمور مطابقة للعقل أو منسوبة إليه و أيضا عقلي Rationnel التي تعني مطابق للعقل.

2.2 العقلنة إصطلاحا:

تعد العقلانية عند فيبر منهج فسر به تطور أشكال النشاط الإنساني و ليست مذهبا و لم يكن فيبر صاحب مذهب عقلاني، بل صاحب منهج عقلاني لأن العقلانية أصبحت عنده وسيلة لفهم تطور أشكال النشاط الإنساني و كيف يمكن أن تتجسد في الواقع الاجتماعي. فالعقلانية هي صورة الفعل في تطوره نحو الحداثة و الرأسمالية و مفهوم العقلنة هو تجسيد عملي لتحقيق مدلولات التحديث واقعا و عليه فإن العقلانية غير العقلنة فالعقلانية منهج في حين أن العقلنة تطبيق و تحقيق العقل نحو الترشيده من خلال مخرجات الفعل المهادف. و العقلنة من الناحية السوسيولوجية تشير إلى كل تفكير أو فعل واع منبثق من قواعد المنطق و المعرفة الإمبريقية، حيث ترتبط فيه الأهداف إرتباطا منطقيا و تتحقق بوسائل أكثر ملائمة (محمد عاطف غيث، 1996، ص373).

بمعنى آخر فالعقلنة تعبر عن التفكير و السلوك الواعي الذي يتفق مع أحكام المنطق و المعرفة التجريبية و الذي يتسم بأهدافه المتناسكة و المتزنة التي يمكن تحقيقها من الوساطة الموضوعية و العلمية (دكتيف متشيل، ص1971).

و نشير أن مصطلح العقلنة أو الترشيده عرف في كتابات ماركس فيبر وأعضاء مدرسة فرنكفورت بالتحديد، ويعتبر من المفاهيم الأساسية التي تستخدم لدراسة المجتمعات الحديثة فماكس فيبر و إن إعتبر العقلنة تأخذ شكلين قيمي و مادي إلا أنه يرى أن العقلنة أو الترشيده المادي هو عملية تنميط وفرض للنماذج الكمية البيروقراطية على الواقع المادي والإنساني و على جوانب الحياة ويتحكم الإنسان في الواقع وفي نفسه ويتحول المجتمع إلى آلة بشرية ضخمة ولذا يعرف فيبر الترشيده بأنه تحول المجتمع بأسره إلى حالة المصنع.

كما يري أن هذه الآلة الضخمة تجبر الأفراد على أن يشغلوا أماكن محددة لهم وهذا الجو الآلي سيزيد من الفاعلية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، زيادة كبيرة ولكنها في الوقت نفسه تهدد الحرية الفردية وتحول المجتمع إلى قفص حديد. (عبد الوهاب المسيري، 2002، ص148)

يخلص من خلال ما سبق ذكره أن العقلنة هي :

- ظاهرة إنسانية تخص الإنسان لما يحظى به من عقل.
- لا تنحصر العقلنة فقط في مستوى حياة الإنسان للعقل، بل تتخطى ذلك إلى مستوى تطبيق و ممارسة هذا العقل بإتقان و نجاح، بحيث يصبح العقل أداة و هدفا في الوقت ذاته.
- لا عقلنة بدون تعلم من التجربة، كما أنه يستحيل فعل التعلم بدون لغة لكونها إحدى أوجه العقلنة.

- تسمح هذه العناصر المكونة للعقلنة بإضفاء الشكل العقلاني المستند للأدلة و البراهين على كل المواضيع و القضايا بما في ذلك التي يفترض كونها لاعقلانية.
- يترتب عن هذه الرؤية إنتهاج سلوك عقلاني، يوظف وسائل ملائمة تتيح إمكانية التنبؤ بالنتائج (عبد المنعم الشقيري، 2011، ص25).

3. المنطلق الأصلي لمفهوم للعقلنة البيروقراطية:

إنطلق فيبر في تحديده للعقلنة من فكرة دينية جوهرية، إستخلصها من العالم ماكس شيلر يعبر عنها باللغة الفرنسية Désenchantement du monde أي مفهوم التخلص من الآليات السحرية للخلاص و التي طبعت المجتمعات التقليدية و التي سيطرة عليها قيم إعتقادية ساذجة قيم الخرافة، الإيمان بالأساطير، خوارق الأحداث، لذلك يعرف مارسال كوشي هذا المصطلح بإقصاء السحر من حيث كونه تقنية للخلاص (عبد المنعم الشقيري، 2011، ص16) و هذا ما أكد عليه فيبر في قوله "إستطاع الورع الديني أن يتموقع داخل العالم كأداة الإله، بقطعه الصلة مع كل الوسائل السحرية للخلاص فقد تم الإنتقال من وسيلة سحرية إلى وسيلة عقلانية". (عبد المنعم الشقيري، 2011، ص16)

هذه العقلنة التي شكلت إحدى مرتكزات الفكر الفيبري، التي حاولت إخضاع الحياة الدينية و الاجتماعية في العموم لمنهج متكامل، يستبعد الاساليب الارتجالية للتحكم، كأشكال السحر و التنبؤات البدائية، الخرافات ليحل محلها قدرة المعرفة و العلم على الإحاطة بالقوانين و استيعابها و السير وفق مناهجها فعلى حد تعبير فيبر، فبقدر ما تتقدم العقلنة والفهم العلمي، بقدر ما ينفك السحر عن العالم ويفقد معنى السحر، إن حوادث العالم تجري وتحدث لكن دون أن تعنى شيئا.

إن الفكرة التي طرحها فيبر لا تنفي مضامين فكرة الدين، بل تبقى له إعتبرا و وجودا في حياة الفرد فالنبوات هي التي ولدت مرحلة لا سحرية العالم و كرسست مقومات الرأسمالية الغربية، اعتبارا

من تصحيح مفهوم العلاقة بين النشاط الاقتصادي والمرجعيات الدينية عبر ما يعرف بالمذهب البروتستانتي بروحه الكنيسة المسيحية التي كانت هي مظهر الرأسمالية كنظام اقتصادي رصين من كون تعاليمها تقدر العمل و الجهد وتعتبره واجبا أخلاقيا محفوظ وتدعو النفس الى البذل و الادخار، والمزاوجة بين ما هو ربح مادي و الروحي أو بعبارة أخرى "إن هذه المقومات نبعت من الاتجاه التطهيري لهذا المذهب الذي إستطاع التأكد على فكرة الخلاص التي قصت على أوهام الصبغة الاكليروسية للمسيحية يجعلها أكثر تحرر واستقلالية ووعى بذاته، حيث لم تعد العلاقة بين الإنسان والآلة تخضع لوساطة أو مؤسسة، بقدر ما أصبحنا أمام ذات معزولة بباطنها وحقوقها وضماناتها الدينية مؤمنة بالعمل والإخلاص في العمل الدنيوي والآخروي معتبرة العمل ضرورة حياة وغاية وليس مجرد وسيلة لتحقيق غايات أخرى، "أنها التربة الأكثر إستعداد لتقبل هذا التطور عن العمل بصفة غاية في ذاته إستجابة لدعوة داخلية وهذا ما تتطلبه الرأسمالية.

4. العقلنة بين القيمي و المادي:

ويميز ماكس فيبر بين نوعين من العقلنة أو الترشيده "فيرث راثيونيل و زفيك راثيونيل " على الصعيد الإجتماعي:

1.4 العقلنة في القيم: أو ما يطلق عليها Wertrationelle فيرث راثيونيل وترجمتها رشيد في علاقته بالقيم أو الترشيده المضموني أو العقلنة الضمنية، وهذا النوع من الترشيده يعادل تقريبا الترشيده التقليدي الذي يعني أن لا يتعامل المرء مع الواقع بشكل إرتجالي، إنما يتعامل معه بشكل منهجي متكامل ومتسق مع مجموعة القيم الأخلاقية المطلقة والتطورات المرجعية المسبقة التي يؤمن بها ويضرب مثلا على ذلك بعمليات الفتح الإسلامي التي تمت من خلال هذا النوع من الترشيده وهو ترشيده إيجابي. (عبد الوهاب المسيري، 2002، ص 149).

لقد حرص فيبر إلى الفصل بين العلم و القيم على إعتبار هذه الأخيرة غير عقلانية مستبعدا في ذلك القيم المتعلقة بالإيديولوجيا و السياسة، إلا أن الروح العلمية حين تتعاطى مع منظومة القيم تتعرض إلى فقدان المزيد من العقل و الحقيقة، هذا بحسب أن منظومة القيم إنما تقوم على الرغبة و الإعتقاد، لهذا جاءت دعوة فيبر صارمة و واضحة حول أهمية فصل العلم عن السياسة.

2.4 العقلنة المادية: أو ما يطلق عليه Zweckrationelle زفيك راثيونيل هذا المصطلح في ترجمته رشيد في علاقته بالأهداف أو الترشيده الشكلي الإجرائي الأداتي وهو ترشيده أو عقلنة مادية حديثة متحررة من القيم و موجهة نحو هدف مهما كان نوعه، والذي يتبعه الفرد بالطريقة التي تروق له وحسب ما تمليه مصلحته، هذا النوع من الترشيده يتعلق بالكفاءة التكنولوجية وتوفير أفضل الوسائل والتقنيات لتحقيق الأهداف بأقل تكلفة وفي أقصر وقت ممكن،

فكلما كانت الوسائل أكثر توفيراً أو أكثر فاعلية كان الفعل أكثر رشداً من الناحية الشكلية والإجرائية (صباح قارة، 2012، ص 69).

هذا و يركز فيبر على مبدأ هام في هذا الشأن هو "التلطيف العقلاني للغرائز اللاعقلانية" و يقصد بذلك الربح المتجدد، حيث يركز في ذلك على المردودية الدائمة عكس المؤقت السريعة و الموسمية التي طبعت الاقتصاديات التقليدية، لذلك ركز في فكره على عقلنة و ترشيد الاقتصاد عبر تطوير أساليب العمل و نظمه مع تحديد ضوابط العمل وفق قوانين عقلانية، تتماشى مع الغايات و الأهداف متوسطة وطويلة الأجل لتحقيق الفاعلية و الديمومة.

ونشير هنا أن ممكن الاختلاف بين النوعية السابقين من الترشيده، أن الأول يتم في إطار ديني أخلاقي إنساني ومرجعية، أما الثاني فهو متحرر من القيم الدينية الأخلاقية، يدور في إطار المرجعية المادية الكامنة وهو منفصل عن المشاعر والقيميات التي عرفت بها تلك المرحلة التي عايشها فيبر.

5. المدلول الاقتصادي للعقلنة البروقراطية عند فيبر

إن التفسير الفيبري في شكل النظام الاقتصادي الرأسمالي استند في جوهره على فكرة العقلنة التي كان منطلقها ديني محض، حيث كانت القاعدة الجوهرية للرأسمالية كبنية اقتصادية و إجتماعية على عكس كارل ماكس الذي يستبعد التأثير الديني في شكل النظام الاقتصادي، فقد وضع فيبر طرحه في كتابه الاخلاق البروتستانتية و روح الرأسمالية، حيث كان للاتجاه الكالفيني البروتستانتى بالغ التأثير في نمو و تطور الرأسمالية الغربية بالمناطق التي تتبنى هذا المذهب، بعكس المناطق الكاثوليكية، حيث أن الاتجاه الكالفيني أسهم في ازدهار الرأسمالية عبر ما تحمله من مدلولات اقتصادية تبعث على العمل الجاد، التنمية و التقشف و الادخار فكل هذه العوامل تعد أساليب عقلانية لهذا الاتجاه الديني في بعث الرأسمالية، بمعنى أن الارتباط بين الرغبة في الربح و الانتظام العقلاني هو ما يشكل تاريخياً السمة الفريدة التي اتسمت بها الرأسمالية الغربية، فالأفراد نهمون في الحصول على الارباح وهو أمر يمكننا أن نجده في كل مكان و في كل المجتمع، لكن ما هو نادر، ربما و فريد من نوعه هو أن تنحو تلك الرغبة الى التحقيق، ليس بفعل الغزو و المضاربة و المعامرة بل عن طريق الانتظام العقلاني و العلم، إذ أن ما لدينا هنا هو مشروع رأسمالي يهدف الى تحقيق الحد الأقصى من الربح بواسطة التنظيم البروقراطي العقلاني الهادف.

إن حيز الزاوية التي ارتكز عليها هذا الاتجاه مدلولات العمل و تنظيمه و ما يحققه من ربح و هذا كنظام منهجي يحقق سيورة من العوامل التي يتحول عبرها العمل و التنظيم الى ربح مادي مستمر بعبارة أخرى "الرأسمالي الحقيقي لا يراكم رأسماله من أجل الاستجابة لدواعي المسرات

و اللذائذ التي يمكن رأس المال أن يوفرها له، بل الهدف الوصول الى تنظيم و عقلنة للعمل و الانتاج لتحقيق إثراء الحياة البشرية(ابراهيم عريس،2013).

هذه الوضعية بصيغتها العقلانية الاجتماعية ولدت نظام اقتصادي رأسمالي بمرور الوقت بسط سيطرته ليس فقط على عوامل الانتاج المادية بل على العامل نفسه، حيث اعتبره أحد الاشكال المادية التي لا بد أن تنصهر في الجهاز البيروقراطي المتكامل علميا و منهجيا، و موجه نحو تحقيق غايات محددة، هذا الطرح البيروقراطي العقلاني لفيبر لاقى انتقادات منها ما جاء به ماركوز على المثال لا الحصر في أحد مقالاته الصادرة 1964 بعنوان التصنيع و الرأسمالية، حيث جاء في أحد فقراته قوله "يمكن صياغة العلاقة بين الرأسمالية كنظام اقتصادي و السيطرة في فكر فيبر، أن الفكرة الغربية عبر العقلنة تتحقق في نظام حضاري مادي و فكري، هذا على المستويات الاقتصادية، العلمية و النفسية، هذا النظام يميل الى تطوير نمط معين من السيطرة تتمثل في البيروقراطية الشاملة(كمال بومنير، 2010، ص80).

6. البيروقراطية كأداة عقلنة تنظيمية عند ماكس فيبر

كما هو معروف يرجع الفضل إلى ماكس فيبر في استخدام مفهوم العقلنة لوصف الشكل الرأسمالي للنشاط الإقتصادي، و نمط المبادلات البرجوازية في تلك الفترة، و الأنماط البيروقراطية للسيطرة، إن الفكرة المحورية في سوسيولوجيا ماكس فيبر قائمة على مفهوم العقلنة كما يقول ريمون آرون فالعقلنة هي الأساس الذي يوحد بين المنهج و الأبحاث الفلسفية التي نجدها عند فيبر و عليه فإن العقلنة تعني توسيع المجالات المجتمعية التي تخضع لمعايير القرار العقلي و التي تشير بالموازاة مع تصنيع العمل الاجتماعي و مكننة الحياة الاجتماعية و إضفاء التقنية على الحياة الإنسانية، فهو بذلك يعتبر أن العقلنة بالمعني تظهر أولا على الصعيد الاقتصادي ثم تنتشر فيما بعد إلى الأصعدة الاجتماعية الأخرى.

فالعالم الحديث هو عالم العقلنة من خلال الإنتشار الواسع للتنظيمات التي تهدف الى فاعلية أداتيته عالية ساهمت في تطوير المجتمع الرأسمالي الغربي عن طريق البيروقراطية التي عملت على تكريس السلوك العقلاني في التنظيم" لفهم تلك العلاقة الرابطة بين البيروقراطية و عملية العقلنة كخاصية أساسية مميزة للحدثة حدد فيبر الأنماط المثالية الثلاثة للسيطرة domination كظاهرة يبرز معها ارتباط مفهوم التنظيم بمفهوم السلطة بالنسبة لفيبر و هي تلك العلاقة التي تتبلور معها الأشكال الثلاثة للسيطرة في المجتمع العقلانية، التقليدية، الكاريزمية، بحيث أن الإعتقاد في مشروعية تلك السيطرة يجعل الأفراد يتصرفون بشكل طيع docile و يخضعون لتلك السيطرة" (حبيب معمري، 2009، ص17)

و بناء على هذا يقدم فيبر تصنيفا لما سماه الصلاحية، الذي يكرسها المجتمع بخصوص السيطرة كسيطرة مشروعية، صلاحية ذات طابع عقلائي تقوم على الاعتقاد في الطابع الشرعي للقواعد المعمول بها، و عليه فالعقلنة التنظيمية في فكر ماكس فيبر قائمة على قاعدة ثنائية الارتكاز هي الرشد و القانون و ترتبط في الوقت ذاته بالخصائص البنائية و مدلولات الكفاءة كل ذلك حسب التفسير الفيبري لمفهوم القوة و السيادة، هذه المرتكزات البيروقراطية لفيبر جاءت في طرحها مختلفة عن السياقات النظرية الأخرى على غرار النظرية الصراعية و التفاعلية و البنائية.

إن هذه السيطرة نابعة من الأشكال الصورية التي تضمنتها العقلنة الغربية من خلال تجسيدها لعمليات التحديث الذي عرفه المجتمع الغربي من خلال طغيان الجانب الإقتصادي و السياسي البيروقراطي و هيمنته على باقي مناحي الحياة الاجتماعية، من أجل تحقيق ما يعرف بالفاعلية و النجاح التقني للمبادرات الإقتصادية و السياسية.

تلك العقلنة التي تتميز بنوع هائل من السيطرة المقننة و المنظمة و المحكمة على الأفراد في الاطار التنظيمي و المجتمعي، و هي بذلك تختلف نوعيا سابقتها التي كانت سائدة في المجتمعات القديمة و البدائية التي كانت قائمة على تقديس السلطة التقليدية و العادات و الأعراف المتوارثة منذ كان التقديس و الإمثال متوجها إلى هذه التقاليد و العادات أو التي كانت قائمة على السيطرة الروحية الكاريزمية للقائد أو الزعيم الذي يتمتع بصفات تجعل الأفراد طيعون و يتبعونه و يستلهمون منه.

إن السيطرة في المجتمعات الحديثة هي سيطرة قانونية تتجسد من خلال الدولة و أجهزتها الإدارية و البيروقراطية التي أكسبتها مشروعية قانونية متضمنة في الوقت نفسه عقلنة و عليه فالعقلنة التي يتحدث عنها ماكس فيبر تشكل جوهر التحولات الاجتماعية و السياسية و الإقتصادية التي عرفتها سيورة التحديث و المرتبطة بالتشكيل المؤسساتي للتقدم العلمي و التقني و بالقدر الذي تدخل المعرفة العلمية و التقنية في هذه المؤسسات فإنها تقضي على المشروعات التي كانت تنأس عليها المجتمعات القديمة قبل فترة التحديث.

لقد نتج على الإعتماد المتزايد على المعرفة العلمية الحاسوبية و الرياضية بقصد التحكم في الطبيعة و توظيفها أدواتيا لصالح الإنسان الحديث المتعطش للنجاحة العملية و للسيطرة على الأشياء بل و الأكثر من ذلك على كل فضاءات و مناحي الحياة الإنسانية لهذا جعل فيبر من المهارة التقنية و المعرفة العلمية قاعدة و معيارا للعقلنة و للحدثة التي تميز بها العالم الغربي و منه نفهم الارتباط الكامن بين الحدثة و العقلنة من المنظور الفيبري و عليه فمفهوم العقلنة حسب فيبر من المنظور الاجتماعي يتحدد من خلال ثلاثة أبعاد هي :

- البعد المعرفي العلمي و التقني كما يتجسد في المؤسسات الجامعية و العلمية.

- البعد الإقتصادي المتجسد في أبعاد الترشيح المحسوبة ماديا و زمنيا.
- البعد السياسي كما يتجسد في نطاق السوق الرأسمالية و الأجهزة البيروقراطية للدولة الحديثة و ما ترسمه من سياسات عبر حومة القرارات الهادفة (كمال بومير، 2010، ص76).

فالعقلنة عند فيبر قائمة على الهيمنة المعرفية، التي يمكن من خلالها إختبار رشد النظام عبر مدى إرتباطه بنجاعة أدواته في تحقيق أهدافه، بالموازات مع ذلك تبقى أحوال الخلاص من القيود و الأعراف و التقاليد أو سطوة القيم أو هيمنة العلاقات الشخصية على الواقع بمثابة السمة الرئيسية التي تميز رشد نظام أو مؤسسة عن أخرى، "الرؤية الفبرية في هذا الشأن تقوم على أن تطور المجتمع الرأسمالي، إنما يقوم على الترشيح الساعي نحو نزع الوهم عن العالم بإعتبار أن نموذج الدولة المعاصرة القائمة على القانون و العلاقات الرأسمالية و الإدارة البيروقراطية، إنما جاء عبر ترشيح الحياة اليومية بناء على التوجه نحو إستثمار المعرفة بشكليها الخلاق الفاعل و تعزيز مسار العلاقة القانونية الناتية بنفسها عن الإطار الشخصي و التطلع نحو السيطرة على البيئة و إستغلال الموارد، بما يحقق الرفاهية و التطور، إلا أن فيبر يضع يده على المفارقة الموضوعية في عملية الترشيح هذه عبر بوابة ترصد ثنائية الغايات و الوسائل فإذا كانت القوانين و الرأسمالية و البيروقراطية تعد وسائل، الغاية منها التنظيم و العمل على زيادة الرفاهية و تحسين أوضاع المجتمع فإنها بتحولها إلى غايات و أهداف، تحولت إلى قيود تعطل مسار الجمل من أنشطة المؤسسات العاملة في الحقل الاجتماعي، بل أضحت عملية الترشيح بمثابة القواعد التي ينبغي على المرء الانخراط في تحليلاتها و التبعية المطلقة لأهدافها و غاياتها المرسومة" (Anthony K, 1983,p50) .

بالإضافة إلى معيار المعرفة العلمية للعقلنة كشرط أساسي فهناك شروط أخرى تتمثل في توافر العلاقات الديمقراطية القائمة على المساواة أمام القانون، و قدرة الإدارة و إمكانياتها في رسم الخطط و معالجة المشكلات العالقة، و التطلع نحو الممارسة الفاعلة المستندة إلى الإضطلاع بالمهام بكفاءة و مهارة، و تواصل لا يعرف الوهن أو الفتور، فيما تبقى فعالية البيروقراطية مرتبطة بالعلاقات الرأسمالية من جهة و بالإستثمار الإداري البيروقراطي للمعرفة حيث يقول فيبر في هذا الصدد فالإدارة البيروقراطية في أصلها تمثيل للهيمنة من خلال المعرفة، وهكذا فإن السلطة الرشيدة الساعية نحو إدارة الموارد و تنظيم مستوي العلاقات عبر الإفادة القصوى من المعرفة، إنما تمر عبر بوابة النمط البيروقراطي، و هو من الأنماط المثالية التي توقف عندها فيبر و شغلت المساحة الواسعة من جل فكره و إنشغالاته المعرفية، إنها الإدارة القائمة على الجهاز الوظيفي الذي يشكل همزة الوصل بين النخب القادة و الجمهور بناء على العلاقات اللاشخصية القائمة على نجاعة القانون، أنه المسعى نحو تطوير الوسائل و الأدوات من أجل توسيع الهيمنة و السطوة و السيطرة حيث الحضور الطاغي و الحاسم لفاعلية الترشيح.

و عليه فان شكلاية النمط العقلاني على المستوي الإداري قائم على أسس واضحة وفق النمط الفيبري كالمحافظة على السلم الهرمي في نوع الواجبات و مستويات الإتصال، الإعتماد المتزايد على الخبرة و الكفاءة في تنظيم العمل الإداري و الوثائقي، مع الحفاظ الصارم و الدقيق على تقاليد العمل و الكتمان و السرية بالإضافة إلى تبني خطة عمل واضحة تقوم على جدولة الأولويات و تحديد الأهداف، و المسعى نحو الحفاظ على السيطرة من خلال التوافق الدقيق مع القواعد الساعية نحو التميز بين الرسمي و الشخصي.

7. خاتمة:

إن موضوع العقلنة عند ماكس فيبر كان له الأثر الواضح في مجال السوسولوجيا، حيث كانت مساهمة نظرية بارزة تجاوزت علم الاجتماع لتأثر في ميادين أخرى على غرار الاقتصاد و السياسة، وهذا نابع من رصانة هذه النظرية من خلال بنائها المنطقي و الترابطي التي استطاعت المزاوجة بين النظري و التطبيقي حيث عرفت نظريا من خلال النمط المثالي للبيروقراطية و تجسد واقعا عبر مبادئها المعروفة التي صاغها فيبر و اكتسحت جل الادارات و التنظيمات وفق ثنائيات تكمن في الغاية و الوسيلة، المعرفة و التطبيق، السلطة و الشرعية التي تعبر في مضامينها على أسس العقلنة التي تصبو الى تحقيق متطلبات النجاعة الادارية المعبر عنها واقعا عبر مدلولات الفاعلية العامة التي تظهر على المستوى الفردي و التنظيمي.

7. قائمة المراجع:

قائمة المراجع باللغة العربية:

1. جميل صليبا، (1979)، المعجم الفلسفي، لبنان: دار الكتاب اللبناني.
2. صالح حميدات، (2013)، العقلانية في فلسفة ماكس فيبر، أطروحة دكتوراه، كلية علم الاجتماع، الجزائر: جامعة الإخوة متنوري قسنطينة .
3. محمد عاطف غيث، (1996)، قاموس علم الاجتماع، مصر: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
4. ديكثف متشيل، (1981)، معجم علم الاجتماع، ترجمة احسان محمد الحسن، لبنان: دار الطليعة، بيروت.
5. عبد الوهاب المسيري، (2002)، الفلسفة الحادية وتفكيك الإنسان، لبنان: دار الفكر المعاصر، بيروت
6. عبد المنعم الشقيري، (2011)، العقلنة بين الكونية الغربية و منطق الثقافات الهامشية، دراسة مخبرية كلية الآداب و العلوم الانسانية ، المغرب: دار المنظومة، ابن امسيك
7. عبد المنعم الشقيري، (2001)، بنية العقلنة الدينية في الغرب في منظور ماكس فيبر، مجلة مدارات فلسفية، عدد 6.
8. صباح قارة، (2012)، إشكالية تشيؤ الإنسان الحداثة الغربية من منظور عبد الوهاب المسيري، رسالة ماجستير، كلية علم الاجتماع، جامعة عبان رمضان سطيف،
9. لحبيب معمري، (2009)، التنظيم في النظرية السوسيولوجية، المغرب: منشورات ما بعد الحداثة.
10. كمال بومني، (2010)، جدل العقلانية في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، الجزائر: 13.
- ماكس فيبر، (1990)، الأخلاق البروتستانتية و روح الرأسمالية: ترجمة محمد مقلد، لبنان: مركز الانماء القومي، بيروت. منشورات الاختلاف.

قائمة المراجع باللغة الاجنبية:

- 11.Martin, A MAX WEBER'S construction of social theory, Macmillan, press.2002,
- 12 .Anthony kronman(1983), Max Weber: jurists profiles in legal theory, stanford university preess,

المواقع الالكترونية:

13. إبراهيم العريس، الاخلاق البروتستانتية و روح الرأسمالية، لماكس فيبر: من الدين الى الحياة المثمرة، الحياة / <https://www.marefa.org:2013//0101>